صدق الاحلام

ليس المراد بصدق الاحلام تعبيرها كما عبَّرها القدماء مثل ارتيدورس الافسي الذي كان معاصراً لمرقص اورليوس او سبتيموس الذي نشأ في القرن الخامس وصار اسقفاً مسيحياً او ابن سيرين الذي جرى على خطتهما او غيرهم من الذين وضعوا لذلك قواعد لا يقلُّ ابهامها عن ابهام الاحلام نفسها بل المراد ان ما يرى في الحلم يكون حادثاً حقيقةً لا مجازاً كأن الحالم رآهُ بعينهِ . وقد ذكر السر اوليفر لدج مثالين لذلك . المثال الاول ما كتب به قس اسمهُ اليوت وكان مسافراً في الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا في ١٤ يناير سنة ١٨٤٧ وهو

حلمت في الليل الماضي أن جاءني كتاب من عمي تاريخهُ ٣ يناير ينعي اليَّ اخي وكان اخي مريضاً في سويسرا واخر خبر وصلني منهُ عند خروجي من انكلترا يدلُّ على تحسن صحتهِ . ولقد كان الثالث من يناير يوماً عبوساً . ولما رجعت الى انكلترا وجدت ما كنت اخشاهُ وهو كتاب ينتظرني وفيهِ ان اخي مات في التاريخ المذكور آنفاً

والمثال الثاني حلم حيَّ رجل من رجال المحاماة بين ٢٩ و ٣٠ من شهر يناير سنة ١٨٩٢ وهاك خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن قال انهُ تعب من الاشتغال بقضية معقدة فخرج من مكتبهِ عند نصف الليل وصعد الى الغرفة التي ينام فيها واطرح على سريرهِ . ولم يكن قد حدث لهُ شيء غير عادي ذلك اليوم ولكن دماغهُ كان متعباً جداً فجعل يتقلب في فراشهِ قلقاً الى ان دقت الساعة الثانية بعد نصف الليل ولم يكد يسمع صوتها حتى خُيِّل لهُ انهُ في مركبة من مركبات سكة الحديد تسير بهِ بين سنت بول واوماها وشعر ان لهُ اربع ساعات في القطر وان القطر دنا من مدينة شل لايك وهي على ٨٠ ميلاً من سنت بول حيث كان نائماً وكان قد سافر مراراً في ذلك الطريق فجعل يطل من كوة المركبة فيرى مناظر البلاد وتتغير امامهُ على جاري عادتها وكلها مما الفهُ واذا بصراخ شديد كأنَّ انساناً يعذَّب عذاباً اليماً . ثم شعر ان القطر اخذ يقلل سرعتهُ ووقف فجأةً ونزل خدمهُ بفناديلهم واسرعوا الى القاطرة ثم مروا على سائر المركبات يتفحصون عجلاتها فاستنتج انهُ أصيب احد بكروه او ان القطر حاد عن طريقهِ فنزل منهُ وسأل عن السبب فقيل لهُ اليس لك عينان تبصران ألا ترى ان القطر داس رجلاً في طريقهِ . وكانوا لا يزالون يفتشون فوجدوا نطع الدم على كل العجلات وعلى عجلة منها دماغ انسان وقطع من شعره فهي التي مرَّت على الرجل اولاً وقتلتهُ وكانت

الجملات التي بعدها ملطخة كلها بالدم ولكن جثة القتيل لم توجد . ثم سار القطر وبينما هو يفكر في هذا المنظر المخيف الذي رآهُ دقت الساعة الثالثة

ونهض في الصباح وقصَّ الحلم على اناس كانوا يفطرون في بيته مع انهُ ليس معتاداً ان يذكر حلمهُ . ثم مضى الى عمله وعاد في المساء ودخل مكتبهُ وفتح جريدة سنت بول فاذا فيها كلام مسهب في وصف هذه الحادثة كما رآها ورأى وصفها ايضاً في جريدة اخرى وهو منطبق على ما رآهُ في حلمهِ

ولو ترجمنا كل ما كتبهُ هذا الرجل من الوصف والتدقيق لملأ اربع صفحات او خمساً من صفحات المقتطف . ويظهر لنا من اسمائهِ وتدقيقهِ ان مخيلتهُ قوية جداً وهي مسلطة عليهِ . ولما سئل عن الادلة التي تثبت انهُ قصَّ الحلم على الذين افطروا معهُ في بيتهِ قبل خروجهِ منهُ اتى بشهادات مكتوبة منهم يقال فيها انهم سمعوا الحلم منهُ وانهُ منطبق بنوع عام او في الامور الجوهرية على الحادثة كما نشرت في الجرائد

وقد نشرنا في المقتطف احلاماً كثيرة من هذا القبيل كما قرأناها في كتب القوم او كما بعث بها الينا الذين حلموها او الذين نقلوها عن الذين حلموها

والتفاسير التي تفسَّر بها صحة ما يقال انهُ صحَّ منها مختلفة فاما ان يكون الحالم قد سمع بالحادثة او عرف بها ثم نسي ذلك فيحلم بما سمعهُ او عرفهُ . واما ان يكون الحلم مبهماً ثم يسمع بالحادثة فيطبق الحلم عليها . واما ان يستنتج الحادثة استنتاجاً من مقدمات يعلمها . واما ان تتفق الحادثة مع الحلم اتفاقاً

فقد يشبع الانسان شيئاً ثم يعلم انهُ وجدهُ في مكان معلوم فيجدهُ في حلمهِ فهذا الحلم من قبيل تذكر شيء كان المرء يعرفهُ ونسيهُ فتذكرهُ في حلمهِ . وقد يسمع خبراً او يرى شيئاً على غير انتباه واذا قلت لهُ انك سمعت هذا الخبر او رأيت هذا الشيء انكر ذلك وأكد انكارهُ باغلظ الايمان لا قصد الكذب بل لانهُ لا يكون مدركاً انهُ سمع ذلك الخبر او رأى ذلك الشيء ثم يخيل لهُ انه حلم بما سمعه او رآهُ . ونظن ان الحلم الثاني المذكور انفاً هو من هذا القبيل اي ان الرجل نهض في الصباح وسمع خبر الحادثة كما حدثت على غير انتباه منهُ . ثم خُيِّل لهُ انهُ رآها في حلم

وقد يعلم المرء اموراً تؤدي الى نتيجة ما فيحلم بالنتيجة كأنهُ فكَّر في مقدماتها واستنتجها استنتاجاً . ومن قبيل ذلك الحلم الاول المذكور في هذه المقالة والحلم الذي ذكرناهُ في جزء اغسطس سنة ١٩٠٨ : وهو ان سيدة حملت وهي في عرض البحر امام اسبانيا ان اخرى ولدت صبياً في

القاهرة تلك الليلة وكان كما حلمت. وقد تصدق الاحلام اتفاقاً ونظن ان هذه الاحلام اقل الاحلام التي تصدق وان الصحة فيها لكون قليلة ولكن الحالم يتمها بالزيادة والنقصان والتغيير والتحوير على غير قصد منهُ حتى يتطبق الحلم على الحادثة التي يشير اليها

وتفسيرنا للاحلام على هذه الصور لا ينفي ان يكون لها تفسير آخر اي ان تكون كل حادثة من الحادثتين المشار اليهما في الحلمين المذكورين آنفاً قد اثرت في ذهن الحالم على اسلوب غير عادي وغير معروف ولكن هذا التفسير يستلزم اموراً كثيرة غريبة لا تستلزمها التفاسير الاولى فالحادثة الثانية اثرت في الذين شاهدوها حتماً واثرت ايضاً في الحديد والخشب والهواء والاثير وكل ما اتصل بهاء ولو وجدت هناك آلة فوتوغرافية ونور ساطع لسهل تصوير العجلات والدم والصاغ عليها. ولو استطعنا ان نطّلع على اذهان الذين شاهدوها لرأينا فيها آثاراً تدل على ما حدث وتلك الآثار تنتقل بالهواء والاثير الى كل مكان في هذا الكون ولا بدَّ من انها وصلت الى ادمغة كل الناس لان الاثير تام المرونة وهو شاغل لكل مكان فلا تؤثر فيهِ قوة هنا الاَّ ويصل تأثيرها الى كل مكان ولكنهُ يضعف بالابتعاد وبالحواجز والعوائق وهذا امر طبيعي لا خلاف فيهِ. فاذا مسكت تفاحة يدك فكل الذين حولك يرونها الاَّ العميان منهم ثم تضعف رؤيتها بالابتعاد عنك فلا يراها احد على بعد ميل منك ولو كان مواجهاً لك وتزول بالعوائق فلا يراها من بينهُ وبينك جدار لان النور الذي ترى به التفاحة لا ينفذ الجدار

والرجل الذي رأى ذلك الحلم كان بعيداً ثمانين ميلاً عن محل الحادثة فاذا فرضنا ان امواج الاثير اثرت في دماغهِ على هذا البعد الشاسع ولم تؤثر في دماغ غيرهِ لزمنا ان نفرض انها كانت قادرة على التأثير في ادمغة ملايين من الناس في دائرة قطرها ١٦٠ ميلاً حول محل الحادثة ومع ذلك لم تؤثر الاَّ في دماغ رجل واحد منهم وذلك بمثابة قولنا اننا مسكنا تفاحة بيدنا امام مليون نفس فلم يرها الاَّ واحد منهم وهذا مخالف لاختبار الناس كلهم وللنواميس الطبيعية التي عرفناها الى الآن. واذا اضطررنا ان نفسر ذلك الحلم بفرض مثل هذا الفرض او بالفرض الاول وهو ان الحالم سمع بالحادثة ونسي ما سمعهُ ثم توهم ان ما سمعهُ حلم حلم بهِ وجدنا ان الفرض الاول قريب الى المعقول والمألوف واما الفرض الثاني فبعيد عن المعقول والمألوف جدًّا فالحكمة تقضي ان نتمسك بالاول الى ان تكثر الشواهد على صحة الثاني

وقد حاول الدكتور فان ايدن الهولندي ان يجعل احلامهُ خاضعةً لارادتهِ وقال انهُ صار يحلم بما يعتقد نيتهُ على ان يحلم بهِ او على ان يفعلهُ واتفق مع مسز طمسن الوسيطة المذكورة

في الاجزاء السابقة على ان يناوي قريبتها نلي في حلمه بعد ما يعود الى هولندا ويقال انهُ نجح ثلاث مرات في يناير وفبراير سنة ١٩٠٠ فان نلي قالت ان الدكتور فان ايدن ناداها في تلك الاوقات وذهبت لرؤيته والاوقات التي قالت انها سمعت نداءهُ فيها تقارب الاوقات التي ذكرها في يوميته . وقالت ايضاً انهُ ناداها في ١٩ ابريل وذهبت ورأتهُ ولم يكن قد ناداها ولكن الوصف الذي وصفتهُ بهِ حينئذٍ ينطبق على الحالة التي كان فيها

فاذا تكرَّرت هذه التجارب وثبت منها ان عقول الناس يتأثر بعضها من بعض عن بعد حتى يعلم الواحد بما يؤثر فيهِ الآخر او بما يريد الآخر انهُ يعلم بهِ لم يبقَ داعٍ لاسماعيل بن يثبت قول القائلين ان الاحلام ناتجة عن تأثير العقول بعضها في بعض . وتبقى مسألة الانباء بالغيب فتفسَّر بان الارواح تستنتج معرفة الغيب استنتاجاً وتوصل معرفتها الى عقول الذين يحلمون ولكنها لا تنبئ بامر هام ولا بامر يفيد الناس على ما يظهر

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ السُّبلة ﴾ Ciconia abdimii E. Abdim Bey's stork. F. Cigogne d'Abdime Bey

نوعٌ من اللقالق اصغر من اللقلق المعروف ابيض البطن وسائرهُ اسود وهو كثير في السودان ويسمونهُ السبلة . وتعرف السبلة عند الافرنج باللقلق عابدين بك (C. abdimii) سمَّاها بذلك لتشتين[1] في سنة ١٨٢٣ ولا اعلم من هو عابدين بك هذا ولعلهُ احد الضباط الذين شهدوا فتوح السودان في تلك الايام

﴿ عنز الماء ﴾ Ciconia nigra. E. Black stork. F. Cigogne noire

هو اللقلق الاسود و يوجد كثيراً بمصر و يعرف فيها بالعنزة . وفي المخصص عنز الماء ضربٌ من طير الماء . واظنهُ هذا الطائر

﴿ ابو سعن ﴾ Leptoptilus. E. Adjutant or Marabou. F. Marabou, Cigogne à sac

نوعٌ من اللقالق قبيح المنظر جدًّا يعرف في السودان بابي سعن لغدة في عنقهِ تشبه السعن وهو في كتب اللغة قربة تتخذ من نصفها و يبذ فيها وقد يستقى بها كالدلو . والكلمة

(١) اخبرني بذلك الكابتن فنزر مدير حديقة الجيزة